

العلاقة بين البارانويا والديمقراطية عند العرب

د. وائل فاضل علي
نفساني / أستاذ جامعي

Wnnl2002@yahoo.com

قد يستغرب البعض لهذا العنوان ، وقد يظنه البعض مجرد مزحة او عنوان (هزلي) أو تهجم على العرب وبالاصح الحكام العرب ولكنني اؤكد هنا إن هذا عنوان علمي والموضوع يتناول من ناحية علمية نفسية بحتة . ولكي يكون الموضوع أو العلاقة أكثر وضوحاً ومختصراً لنقوم أولاً بتعريف معنى وأعراض البارانويا ومن ثم الديمقراطية وسنكتشف العلاقة من خلال التعريفين وسنقوم بتوضيحها بصورة أفضل.

جنون الارتياح (جنون الاضطهاد) - البارانويا (Paranoia) مرض نفسي مزمن يتسم بالوهم (Delusion) وهي أفكار ضلالية يعتنقها المريض ويؤمن ايماناً وثيقاً بتعرضه للاضطهاد والملاحقة ويفسر سلوك الاخرين تفسيراً يتسق وهذا الاعتقاد. البارانويا من الأمراض الذهانية ووضح الطب النفسي أيضاً هذه الحالة :

1. المصاب يعتقد بأن هناك اذى سيصيبه أو سيصيب أحد احبائه وهذا تبعا لمعتقداته.
2. المصاب يعتقد بأن هناك شخصا يحاول ويتعمد ايدائه كأنه خلق لهذا.

يبالغ هؤلاء الأفراد في تقدير قدراتهم و صفاتهم أو يعتقدون بامتلاكهم لقدرات جسدية أو نفسية خارقة والبعض منهم يظنون أن بإمكانهم أن يحكموا العالم وحتى الكون ويشبهون أنفسهم بالملوك أو الأنبياء أو أكثر من ذلك فقد يعتقدون بأنهم سليلو الملوك أو أنهم الأنبياء أنفسهم وأن لديهم رسالة في الأرض لتحقيقها وهذا ما يمكن أن يقودهم للقيام بأعمال غير عاقلة. كما إن هناك فرط في تقدير الذات (تضخم الأنا)، وفقدان المرونة في المحاكمة أو ما يسمى الصلابة النفسية وهذا ما يجعل هؤلاء الأفراد متعجرفين مغرورين محترقون للناس وغير قادرين على النقد الذاتي فهم مفرطي الإعجاب بذاتهم . إنهم شكوكين وحذرين جدا ويكرهون المزاح والألفة الزائدة ويبقون في حالة تيقظ وحذر دائم خشية المؤامرة ضدهم ، رغم مستوى الذكاء الجيد فإن لديهم اضطراب في المحاكمة وهذا يؤثر على حياتهم العاطفية مما يؤدي لاضطراب في حياتهم الاجتماعية .

أما الديمقراطية فاننا سنقوم بإعتماد تعريف أحد القادة العرب وهو القذافي لأنني شخصياً إجدته الأقرب الى الواقع ومناسب تماماً لتبيان هذه العلاقة وهذا التبيان ليس من باب السخرية بل هو تأكيد لما سنبحث به. فتعريف القذافي يقول : " الديمقراطية كلمة عربية أصلها ديموكراسي وهي تعني ديمو الكراسي " وأنا اتفق معه تماماً لأنه يقول إنها تعني (ديمو على الكراسي) أي ابقوا على الكراسي ولا تتركوها أبداً لأن هذه الديمقراطية هي التي جلبت الحكام العرب على الكراسي لذا فهم الأفضل والأكثر ذكاءً وحكمة وخبرة ودراية وشعبية من غيرهم وكل ما يشغلهم هي المؤامرات التي تسعى للنيل منهم لذا يحاولون استخدام شتى الوسائل والطرق من أجل إجهاد تلك المؤامرات التي تحاك ضدهم وعليهم لإنهم وهم فقط من يستحقون ذلك !! ومثال آخر هو تعريف المالكي للديمقراطية عندما أوضح صراحة بأنه مختار ديمقراطياً من الشعب لذا وعند خسارة حزبه في الانتخابات قال بإنها مزورة وإن هناك مؤامرات ضده وأمر بإعادة فرز الأصوات يدوياً لأنه لا يؤمن بقدرة الكمبيوترات على العد!! كما أنه يؤمن بالديمقراطية أكثر عندما قال يمكن ان أحكم الى أربع أو خمس ولايات أخرى يعني عشرين سنة للأمام وهنا نجد تطابقاً كبيراً بين تعريف القذافي (ديمو على الكراسي) وما يطمح اليه المالكي، وبالمناسبة كلمة ولاية تعني إنه (والي على ولاية أي مدينة والوالي حسبما كان تاريخياً لا ينتخب وانما يعين والولاية مدينة تابعة الى دولة وهذا كما أطلعت عليه وقد أكون مخطئاً ولا أعرف ان كان السيد المالكي يقصد ذلك أو إن هذه مؤامرة من قبلي

ضده).كذلك علي عبد الله صالح عندما يقول بأنني منتخب من الشعب وسأبقى لغاية أنتهاء الفترة (ويقصد هنا موته) ولا يمكن أن أتحدى قبل ذلك لأننا ديمقراطيون.

نعود الى موضوعنا الأساس فإذن الديمقراطيون عندنا يشعرون بالأضطهاد المستمر وأنهم عرضة الى مؤامرات خارجية وداخلية وأجندات خارجية تحاول النيل منهم بصورة مستمرة وأنهم بحالة مستمرة من الشكوك وأصحاب نظرات متعالية وأنهم أصحاب رسالة وإن لديهم أمانة عليهم تأديتها وأنهم أصحاب خبرة حتى لو كانت وهمية من خلال محال بيع خضرة أو أرضيات لببيع مواد مستعملة ويمكن لهم أن يقوموا ويعملوا أشياء لا يمكن لغيرهم القيام بها ويمتلكون ويحاولون امتلاك كل الصلاحيات بأيديهم هم فقط ومن المقربين جدا لهم لأن الآخرين يحملون لهم ضغناً وكرهية وحقداً وحسداً على ما آتاهم الله.

و أعتقد أنني لست بحاجة الآن إلى توضيح أكبر للعلاقة بين مرض البارانونيا والديمقراطية عند الحكام العرب لأن التعريف لكل متغير على حدة يجمع الشمل بينهم من خلال العوامل المشتركة الكبيرة بين مفهوم الديمقراطية عندهم وتعريف البارانونيا .

والسؤال هنا : هل هذا المرض وراثي أم إنه هناك عدوى تنتقل من خلال كرسي الحكم وهنا لا بد لنا نحن معشر النفسانيين من إعادة النظر بهذا المرض وكيفية حدوثه وتطوره وطرائق إنتقاله (رغم إن الامراض العصابية والذهاني غير معدية إلا إن الظاهر إنها تنتقل بالعدوى لدى الحكام العرب).